



لوحة رقم (٨) هنري ماتيس - بوتريه صديقه أندريه ديران .

المرحلة الأولى : التحليل الوصفي

فهذه اللوحة التي أمامنا توضح وجهاً إنسانياً للفنان (أندريه دروين) ، والتي رسمها صديقه الفنان الفرنسي المشهور (هنري ماتيس) (Henri Matisse) عام ١٩٠٥ م . كما يعتبر (أندريه ديران) رفيق دربه الذي لازمه في الاتجاه الفني الذي سارا عليه معاً ، والمسمى بالمدرسة الوحشية ، تبهرنا اللوحة من النظرة الأولى تلك الألوان الغريبة والمتعددة ، والمخالفة للألوان الحقيقية التي تعودنا رؤيتها في الكثير الأعمال الفنية التي رسمت قبل وبعد عصر النهضة مثلاً . وهذه الألوان هي اللون الأزرق ، و اللون البرتقالي ، واللون الأحمر ، واللون الأخضر ، واللون البنفسجي ، والأصفر ، واللون الأبيض والأسود . فالوجه يبدو خشن ، وغير محكم التفاصيل أو الحدود كأنه ممزق بتلك

الطرق الغربية في التلوين المعتمدة على الفرشاة القاسية ، وبطريقة متعجلة . حتى غدا
الوجه كأنه دمية مصنوعة من القماش أو القش.

المرحلة الثانية : التحليل الشكلي

من الخصائص التي تعتمد عليها المدرسة الوحشية هي عدم اهتمامها بتحديد
الأشكال أو العناصر المرئية البارزة في العمل بالخطوط الخارجية إلا نادراً وإذا لجأ الفنان
إلى التحديد فإنه يعمد إلى ألوان غريبة في التلوين كما في أجزاء بسيطة من الذقن والأذن
والرقبة والقبعة ، الذي استخدم فيه اللونين الأزرق ، والبنفسجي ، ولذا يبدو الوجه غير
بارز المعالم ، و التفاصيل، كأنه ممزق بفعل عمل الألوان القوية .أما من ناحية المنهجية
التي تتبعها هذه المدرسة فهو يقوم على وضع الألوان المتكاملة أو الألوان المتقابلة في
دائرة الألوان بجوار بعضها أو في جوانب متفرقة في اللوحة ، فهي تمثل اللون الأزرق في
الخلفية اليسرى للوجه ، ويقابله اللون البرتقالي في لون الوجه نفسه ، وأيضاً اللون
الأحمر الذي يمثل اللون القبعة ، ويقابله اللون الأخضر في الخلفية اليمنى للوجه ، وكذلك
فإن اللون الأصفر الذي يمثل لون القميص أو الرداء الذي يلبسه (أندريه ديران) تقابله
أجزاء بسيطة من اللون البنفسجي الذي يمثل جانب الظل الأيمن المنعكس على الوجه . كما
أن الفنان استخدم الألوان المحايدة في اللونين الأبيض في أجزاء موزعة بشكل عشوائي ،
وكذلك اللون الأسود في لون الشعر ، والشارب ، وقيم اللونية القائمة في الخلفية . كما أن
الفنان لم يعتمد على عناصر الظل والنور كما هو متبع في قواعد الرسم والتلوين في
معظم اللوحات سواء هذا المصدر طبيعياً من الشمس أو القمر أو من مصدر صناعياً
كالإضاءة الكهربائية أو الشمع وغيرهما . بل لجأ الفنان إلى مصدر إشعاع اللون نفسه
التي توحى بإشراق الروح ، ووضاءة النفس التي تنبعث في داخل الفنان نفسه ، كما هو
في ملامح الوجه والرقبة والصدر.

المرحلة الثالثة : تحليل المعنى
أ- التحليل الداخلي أو الضمني

من اللوحة نرى أن الفنان (هنري ماتيس) ربما لم يقصد من عمله رسم وجه صديقه (أندريه ديران) للهدف ذاته ، والذي تبادل الدور معه في رسم الأخير لوجه صديقه هنري بنفس الأسلوب . بل قصد من ذلك كله هو التعبير وتصوير الأحاسيس وإثارة المشاعر والانفعالات في داخل الفنان نفسه عن طريق أسلوب خاص مفعم بالألوان . ولهذا يبدو الوجه مختلفاً عما هو متعارف عليه في رسم الوجوه التي رسمها الفنانين الكبار سواء في عصر النهضة أو في غيره ، والذين اهتموا بدرجة كبيرة على إظهار المشاعر والعواطف والأحاسيس والانفعال التي تنتاب الوجه ، بينما في المدرسة الوحشية فهم يظهرون المشاعر ، والأحاسيس ، والانفعالات الداخلية التي يحملها الفنان نفسه ووضعها على اللوحة من خلال عمل الألوان القوية والناصعة والمحددة . مما سبق يمكن أن نلمس الفرق بينهما ، ففي الجهة الأولى تحمل صفات وصفية حسية ، ولموسة تجسد تفاصيل الوجوه المرسومة ، ومشاعرها مثل دقة التفاصيل ، ووضوح الملامح الخاصة بالوجه من العينان والأنف والشعر ، والفم... وغيره بالإضافة إلى اكتمال الألوان ، ودرجاتها. وتتفاعل معها لغة العيون.

فالوحشيون يرون أن رسم الوجوه بالأسلوب الوحشي لا بد أن يحمل صفات شعورية مكنونة في داخل الفنان ، من صفة لفت النظر. نظراً لقوة ألوان الوجوه ونصاعتها وغرابتها والانبهار لشدتها ، أو تحمل صفة القسوة أو الرقة أو صفة القبح أو الجمال ، ولذا يؤكد الوحشيون على أنه ليس من المهم إظهار الهيئة التي تبدو عليها الوجوه من جوانب الفرح والحزن والغضب واليأس... وغيره . بمقدار إظهار هذا التقابل والتضاد اللوني من مجموعة لونية محددة ، وإظهارها بصورة مشرقة ، وناصعة على اعتبار أن الألوان كما يراها الفنان (ماتيس) هي الموضوع الأساسي في اللوحة ليتفاعل معها بلغة الوجدان والمشاعر والأحاسيس.

ب- التحليل الخارجي أو غير الضمني

من الأسلوب الفني الذي انتهجه الفنان الفرنسي (هنري ماتيس) في اللوحة يتضح أن الفنان متأثر بأسلوب الوحشي ، من خلال الرسم ، وذلك بسحب الفرش القاسية بصورة متعجلة ، ووحشية ، والتلوين بألوان محددة ، ومخالفة للألوان الحقيقية المعروفة تعرف بالألوان المتكاملة.